الغيرة سبايب

بقلم: يوسف عبدالرحمن
y.abdul@alanba.com.kw

سمعتوا بالغيرة؟!

هي خصلة مرذولة ممقوتة وسلاح ذو حدين، لها محاسنها ولها أيضا مساوئها!

الغيرة انــواع بعضها يحفظ ويقي، وآخر يدفع ويمنع ويصون ويحمي، وهناك اكيد يدمر وتصيب صاحبها بالهوس والجنون!

المعلــوم ان «خير الامور الوســط»ـ كما يقولونـ وهذا ما رأيناه في مجتمعات وشعوب وبشر.

بواعث الغيرة ودوافعها كثيرة وألوانها أشكال متعددة في طبائع النفس البشرية ومظاهرها في جميع المراحل العمرية.

الاستراحة هذا السبت تتناول هذه الصفة وهناك اليوم جهــود مجتمعية في كل بلد لحصر الظاهرة وتناولها بالتوعية قبل خراب البيوت والأوطان.

الغيرة محطتنا في هذه الاستراحة النوعية نجيب فيها على التساؤلات التي تشغل بال الجميع رجالا ونساء. اننا ننشد الاعتدال في العلاقات ليعيش كل انسان سعيدا بحريته المنضبطة.

في لغتنا العربية الجميلة نجد لفظ الغيرة ـ بكســر الغين ـ وكتب اللغة وقواميسها تجمع على انها بفتح الغين وســكون الياء فلزم ان نقول: الغَيْرَة وكلنا سمعنا ما يقوله الناس: فــلان يغار على زوجته أو العكس فلانة تغار على زوجها.

قال الشاعر:

أيها الغـــــــائر المستشيـط
عــلام تغــار إذا لــم تغـــرْ؟!
تغــار علــى النــاس أن ينظــروا
وهــل يفــتن المحصنــات النظــر؟!

ويقال: غار الرجل على المرأة وغارت المرأة على الرجل غيرة: ثارت نفسه لابدائها زينتها ومحاســنها لغيره، أو لانصرافها عنه الى آخر.. وثارت نفســها لمثل ذلك فهو غيران وهي غيرى والجمع غيارى وهو وهي غيور والجمع: غيّر وهو غيّار، وهي غيّارة وهو وهي مغيار والجمع مغايير.

وبعيدا عن اللغة نجــد هناك الوانا من الغيــرة ايضا، فهذا طفلــك يغار من اخيه أو اخته!

وهناك غيرة الطلاب من بعض، وهناك غيرة اكبر مثل الجيران من بعضهم البعض!

أيضا يذكر في هذا الصدد غيرة الضرائر ويا (كرده) باللهجة الكويتية من أخذ اثنين!

وهناك غيرة الأقارب والأهل والجماعة!

وهناك غيرة الغيرات وهي غيرة الموظفين بعضهم البعض إلى حد يصل إلى الكيد!

قال الدارمي:

ما أحسن الغيرة في حينها
وأقبح الغيرة في غير حين

لهذا وهذا كله أكتب لكم اليوم في الاستراحة عن الغيرة.

والغيــرة ايضا لها نصيــب في الآيات والاحاديث وشريعتنا الغراء، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى يغــار، وان المؤمن يغار، وان غيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم الله تعالى».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا احد اغير من الله، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا احد احب اليــه المدح من الله، من اجل ذلك مدح نفسه».

تبقى الغيرة الفظيعة هي غيرة النساء لأنهــا من امرأة، فكيف نحمي النســاء من غيرتهن؟!

انهــا دعوة من الاســتراحة للرجل بأن يتماسك ويرفق بالنساء اللاتي هن في حياته، فالأم مثلا تغار من الزوجة والأخت.

نعم، هناك انواع من الغيرة ما بين النساء حتى ان بعض النساء تغار من صديقاتها وصاحباتها.

من اروع ما قرأت وصية اب لابنته قال: اياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب، واطيب الطيــب الوضوء، وكوني كما قلت لأمك في بعض الاحايين:

خــذي العفو حتى تســتديمي مودتي
ولا تنطقي في ســورتي حين اغضب
فإني وجدت الحب في الصدر والأذى
إذا اجتمعــا لــم يلبث الحــب يذهب
ولا تنقريــني نقــرك الــدف مــرة
فإنــك لا تدريــن كيــف المغيــب
ولا تكثري الشــكوى فتذهب بالهوى
ويأبــاك قلبــي والقلــوب تقلــب

من اجل غيرة محمودة غير ممقوتة ولا تزعل، عليكم بصحبتي في هذه الاستراحة النوعية، وعلى الله نتوكل ونبدأ:

الغيرة شعور كامن في النفس، قد يكون ظاهرا جليا واضحا او خفيا مستترا.

موضوع الغيرة يهم كل الناس في الكويت او في اي بلد من هذا العالم، والشعوب تتراوح في هذا الأمر، فنحن المشــرقيين الواحد فينا «حمــش» «مصرقع» يغار مــن اي حركة او لفظ، بينما اهل اوروبا رجالهم برودهم قاتل ونــادرا ما يفزع واحد منهم من الغيرة اللهم الا قلة.

الغيرة عند العرب والمسلمين والافارقة قد تكون فلكية، بينما الشعوب الاخرى عندها غيرة ولكنها ليست بالمشكلة «العصية» وانما شيء بسيط ونسبي ولا يقارن بالغيرة التي عندنا.

للغيرة بواعث ودوافــع كثيرة ومتعددة وهي موجودة في النفس البشرية، وهي تبدأ من اعمار مختلفة وان كان بعض الاطفال منذ نشأته يمارس الغيرة.

والهدي النبوي دستور خالد لنا فيه علاج طيــب لهذه الغيرة، وايضا لا ننســى رجال التربية وعلم النفــس والعلوم الاجتماعية والنفسية.

هناك غيرة محمودة وهناك غيرة مرضية متعبة لصاحبها ولمن حوله.

الغيرة نيران متأججة وعلينا محاصرتها بكل اشــكال الدواء المتــاح حتى لا تمتد الي من حولنا.

من يغار أكثر؟

هناك غيرة رجال.
وهناك غيرة نساء.
وهناك من يتســاءل أيهما أغير النساء أم الرجال؟
وأيهما أشد في غيرته المرأة أم الرجل؟
هناك من يرى أن غيرة الرجال على المرأة أعنف وأشد.
وهناك من يرى أن غيرة المرأة لا تبلغ مبلغ غيرة الرجال على المرأة.
من واقع الحياة غيرة المرأة على الرجل لا تبلغ ـ وإن فرطت ـ مبلغ غيرة الرجل على المرأة، ولذلك أحل الله ـ عز وجل ـ للرجل وطء أربع من النساء، ووطء ما يشاء من السراري (وهي الأمة المملوكة) لما علم أن صبر المرأة محتمل ولم يجعل للمرأة أن تنظر إلى تميز زوجها لما علم أن صبره لا يتحمله وإن حلم!
لكن الشــاهد في الحياة والأكيد أن غيرة المرأة أعنف وأشد.
وهناك من يقول إن أصل الغيرة من الفضائل الدينية والخلقية لكن بشرط ألا تتجاوز حدها وتنقلب إلى ضدها وتصبح ممقوتة لا بل رذيلة لما تسببه من أضرار نفسية واجتماعية.
تبقى الحقيقة ان غيرة الرجل وغيره المرأة كلاهما مرتبطة بالأســباب وطريقة التربية والتعامل، وهذا يتضح في حال الزوج عندما تكون أسرة البيت في كامل الصلاح ويكون الزوج من بيئة أخرى فيها الأب مارس الغيرة والضرب معا فماذا نتصور الابن سوى نسخة من والده!

غيرة الرجال

في التاريخ غيرة الرجال مذكورة شعرا وروايات، حتى ان الغيرة وصلت عند العرب الجاهليين ضربا من ضروب الأثرة والشرف والعرض ومثــار حمية وحفيظة فيمن لا حميــة ولا حفيظة له وكلهــا أمور مردها الخــوف على العــرض أن يهان أو يدنس أو ينثلم.

كانت الغيرة متقدة تتجاوز اطرها وهذا يجعلهــا مصيدة للخصومــة والاحتكام فيخطئون هذا ويصوبــون ذلك لهذا كثر شعر الاعتذاريات.

جاء الاسلام الســمح الوسطي فدرس اسباب الغيرة وفندها، ولهذا كانت الشهادة ومنع الارتياب من غير علم والتهمة لمجرد الشبهة فهذا ليس من الدين.

ان التهــم مــن غير دليل وهــم وريبة ووسواس والتباس شك وظنون. إن مسألة الغيرة عند الرجل مردها حبه للمرأة، وعندما تكون جميلة فإن الهوس والوسواس والقيل والقال والهمس كل هذا يجعله يشعر بالغيرة ويســتولي عليه شعور مســيطر فيلهب شــكوكه وظنونه ولا يهنــأ ولا تطيب له حياة ويمسي ويصبح في قلق ليلا ونهارا من نظرات الطفوليين والمتطفلين.

ومن تقوده نيران الغيرة يدمر نفســه ومن معه لأن ارادته تضعف فيكون الاختلال والانهيار وسوء الحال والمآل.. وهنا ليس لها من دون الله كاشفة.

دعوة للأزواج

يقولون: لا نســتطيع أن نمنع «طيور الغيرة» من أن تحلق فوق رؤوسنا ولكننا نســتطيع ان نمنعها من أن تبني عشــا فيها.

أيها الأزواج
أيها الطرفان
أيها الرجل.. أيتها المرأة

ديننا الإســلامي علمنا أن بعض الظن إثم ونهانا عن التجسس وهذا يعني نفسا متوازنة لا يقودها الشيطان.

من حق المحبوب أن يغار على محبوبته لكن الغيرة المحمودة.. هي الغيرة المعتدلة التــي يزداد بها الحب وتقوى بها الروابط وتهدأ النفوس ويســكن القلب ويســعد البال.

إن الغيرة التي يحبها الله هي الغيرة في الريبة حيث لا يحسن السكوت عليها.

أما الغيرة التي يبغضها الله فتلك الغيرة في غير ريبة ولا مبررة تافهة، ولهذا نقولها للأزواج: ثــق بزوجتك لإغلاق باب الفتنة والشــر لأنهــا هنا في بيت مســتقر غير ضرورية وليست مطلوبة.

إن واجب الزوج العاقل ان يكبح داخل نفسه الغيرة ويتعامل بكريم المعاملة خاصة ان كان واثقا تماما من زوجته.

انهــا دعوة للحلم، فالحلــم الحلم ايها الازواج ولتكن السماحة هي الطريق والعلاج ولنا في رســولنا الكريم ﷺ أسوة حسنة فهو والله نعــم المعلم ونعم الزوج ونعم القدوة والمثل.

للغيرة بواعث

بواعث الغيرة عند النساء تختلف عنها عند الرجال، فمثلا المرأة لا تستطيع أن تأمن على الرجل بوجود امرأة أخرى أبدا.

ولا تستطيع أن تطمئن تماما إلى حب الرجل!

المرأة مكتوب عليها القلق وذهاب سكينة النفس وراحة البال، هذا الحرمان يولد في نفســها الحذر وأيضا يحــرك الغيرة هنا وهناك، هكذا هــي المرأة قلق دائم وخوف متواصل لأنها على الدوام ايضا بحاجة الى رجل يحميها ويصونها ويقف الى جانبها، لهذا فالخوف والقلق مصاحبان لها.

طبعا في تاريخنا الاسلامي والعربي وما قرأناه في التــراث والموروثات تجد هناك غيرة صويحبات يوسف وكلنا يذكر (إن كيدكن عظيم)!

كما قرأنا عن غيرة نساء النبي ﷺ ومنهن سيدتنا عائشةـ رضي الله عنهاـ وحفصة وصفية ـ رضي الله عنهن جميعا.

للنساء طبائع مختلفة وهن يألفن الغيرة ولهذا كله تجد لهن مواقف متباينة.

تذكروا رجالا ونســاء «ومن الغيرة ما قتل» لأن الغيرة نيران مســتعرة وليس هناك سوى سلاح الإيمان والزهد بالدنيا لمن يحملون قلوبا غيورة شكاكة دائما.

آخر الكلام

أيتها الزوجة
أيها الزوج
أيها القارئ
أيتها القارئة

عليك أن تعرف نفسك من أنت؟

ليس هناك إنسان حر إلا ويشعر بالغيرة ويتراوح هذا الشــعور ما بين حاد جارف وبارد ثقيل غير مستحب.

إنه شــعور مؤلم ينتج في العادة عن خيبة الأمل في امر محبوب (سلطة ـ جاه ـ مال ـ مركز ـ ترقية) خاصة إذا نجح آخر في الحصول عليه.

الغيرة شــعور مركب من حب التملك والحيازة والشعور بالخيبة والغيظ يكون وليد من تفوق عليك.

مظاهر الغيــرة كثيرة وهي انفعال من غضب وحب تملك وشعور بالنقص والغضب من مظاهره وله اشكال منها الضرب والسب والهجاء والتشهير والنقد أو التخريب او الثورة او العصيان او ما شابه ذلك.

أما مظهــره فهو الهجــوم او الانزواء والابتعاد والصمت او الضرب او النكوص والشعور بالخجل.

ازرعوا في اطفالكــم منذ الصغر الثقة بالنفــس لأن النقــص هــذا اذا تمكن من طفلــك صغيرا ضعفت ثقته بنفســه اولا ثم بالناس.

إن على أولياء الامور الانتباه الى ما أكتبه فهو مجرب وشــاهدناه في ميدان التعليم يوم كنا نمارس الرسالة، فالغيرة مردها الى شعور بالنقص اساسا وتنشأ في اطفالنا منذ الصغر بتمييــز اجتماعي او مالي او سياسي وأصعب شــيء ان يجد طفلك او ابنك وهو في مقتبل العمر حاملا شهاداته ان هناك من أخذ دوره وهو اقل منه وهنا يبدأ شــعوره بالقلق ثم الكراهية والميل للانتقام ويتحول شعوره الى حالة كبيرة من الغيرة المدمــرة، وتذكروا كلما كبرت الامتيازات زادت الغيرة عند انقاصها من طفل وإعطائها لآخر.

أيها الآباء
أيتها الأمهات

نخطئ جميعا عندما نعامل الابن معاملة تختلف عن اختــه البنت مما يخلق عنده الغرور ويثير حفيظة البنات وينمي عندهن «غيرة الكبت» وعدم الثقة، فاحذروا التفرقة او الموازنات لأن الاســرة نواة المجتمع، اذا صلحت صلح المجتمــع وإذا اعتلت اعتل المجتمع، لهذا كله قلنا: «الغيرة سبايب».

لعلنا في الاســتراحة تناولنا ما يخص الغيرة التي تشغل بال الجميع، حتى ينعم الجميع بالسعادة والراحة وعدم القلق في زمن القلق، وأصدقكم القول إن بعض غيرة الرجال إذا كانت في محلها فهي من السؤدد السيادة والشرف وهي فخر، أما إذا كانت إفراطا متجاوزة الحد فهي تعد وظلم ولتبق الحقيقة الناجعة أن القوارير اللاتي في حياتك ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم.

لاتزال في ذاكرتنا "غيرة" عوض دوخي

واحنا صغار كنا نسمع أغنية للمرحوم بإذن الله عوض دوخي يصدح عبر الأثير «الغيرة ســبايب» وهذا ما جعلته عنوانا لاستراحتي.

وهي كلمات جزلة للشاعر محمد محروس وألحان نجيب رزق الله اقرأوا هذه الكلمات وتعمقوا في المعاني:

هذا التمادي
في الظنون
والغيره هذي
والجنون
بداية خصام
نهاية غرام
إذا كان يهون
عليك الملام
الغيره سبايب
في افراق الحبايب
الحاضر يخبر
حبيبه اللي غايب
حبيبي حبيبي
يا حبي ونصيبي
من قلبي وهبتك
اخلاصي وطيبي
بداية خصام
نهاية غرام
إذا كان يهون
عليك الملام
يا جارح فؤادي
يا ناسي ودادي
لا يمكن أخونك
وحبك مرادي
أحبك وحبك
حياتي وزادي
لا تصدق ظنونك
وتكذب فؤادي
بداية خصام
نهاية غرام
إذا كان يهون
عليك الملام